مختارات من الشعر الأمريكي والإنكليزي

ترجمة

د.فؤاد عبد المطلب
جامعة جرش - الأردن

روبرت فروست (1874 - 1963)

تقدير المدى

مزّق القتال بيت عنكبوت رسمت خيوطه حدود ألماسة
وقطع زهرة نمت بقرب عش طائر حزين
فعل كل هذا ولما يلطخ صدر آدمي بعد
وانحنت الزهرة المغتالة شفقةً وعرى أغصانها الخضر سقام
وجم العصفور الذي طالما زارها في ريعان زهوتها
وفقدت الفراشة الحضن الذي طالما ركنت إليه
فحومت لحظة في الهواء تبحث عن الزهرة التي حضنت مراحها
ثم تهادت إليها بخفة وتعلقت بها وهي تصفق بجناحيها
بين أوتاد النبات دولاب من خيوط.
وأسلاك مشدودة رطبها ندى الصباح الفضي
هزته رصاصة خاطفة فتساقطت حبات الندى
وهرع العنكبوت الساكن فيها ليحيي الفراشة،
لكنه لم يلق إلا خيبة،
وسرعان ما عاد أدراجه كسيراً حزيناً.

هرمان ملفيل (1816-1891)

انتهت سبعة أيام من القتال قرب ريتشموند بمعركة هضبة مالفرن، حيث صمد مقاتلون لي أمام جيش ماكليلان الذي حاول السيطرة على العاصمة الاتحادية.

هضبة مالفرن /تموز 1862/

أنت يا أشجار الدردار التي تتماوجين على هضبة مالفرن
في ساعات الصباح الأولى من شهر أيار،
أتتذكرين كيف صمد رجال ماكليلان
إذ قبعوا هنا يدافعون عن أنفسهم بلا هوادة
بينما كان في عمق غابتك الكثيف
رفاقنا الأشداء يتمركزون
بعضهم يمسك أحزمة الرصاص بأسنانه
وبعض آخر يشهر سلاحه صوب الجنوب
كأنهم يتضرعون
ولهفاً يرمقون فضاءات غابات السرو العارية
كم كانت محنة ضارية!
لطالما رمقت عيون المرابطين
ذراك يا ريتشموند فما أحاطت بها خبراً
إذ يلفك ضباب من أسىً شفيف
وتخفيك عن الملأ غياهب الغبار
على طرقات تلفّها أوراق الأشجار،
حيث انطلقت عرباتنا في قوافل الانتصار،
سبع ليال وأيام من المسير والعدو، والتراجع والقتال،
كم تأملت وجوهنا المتجهمة من ذاك البلاء المروع
فهل تتذكر غابة الدردار
النصال اللامعة وهي تقطر دماً.
وراية المعركة ذات النجوم التي يغيبها الدخان
والتي قاتلنا تحت لوائها لم تسقط أبداً
وبصمت لملمنا قوانا
وفجرنا صرخة مدوية
ولما نفد صبرنا على ذلك المنحدر
بدأ قصفنا متتابعاً ومنتظماً
فتراجعنا قليلاً لكننا لم نندحر،
ويا للهول، كيف التحمت ألوف المقاتلين على المرج
فهل تتذكر ذلك غابة مالفرن
وهل أمعنت التفكير والتأمل فيما كان؟
نحن أشجار الدردار فوق هضبة مالفرن
نشهد بأننا رأينا كل شيء
وسيبقى نسغ الحياة يجري في أوعية الغصينات
وسيهز العالم بالطريقة التي يشاء
وحتماً سيخضر الربيع من جديد.

والت ويتمان (1819- 1892)

إلى رجل الحرب الطائر

أنت يا من تمضي الليالي على جناح العاصفة
وتنهض مرة إثر مرة على قوادم جناحيك الهائلين،
إن ثارت العاصفة الهوجاء، تسمو عالياً فوقها،
وتسكن السماء، فتغدو خادمتك تلك التي أصبحت مهاداً لك،
والآن تسبح في السماء كنقطة زرقاء بعيدة المدى،
وفي الضوء المنبثق هنا على سطح السفينة أرقبك،
وأنا نفسي بقعة، بل نقطة صغيرة تحار في اتساع هذا العالم الفسيح.
بعيداً، بعيداً عند البحار...
وعقب رياح الليل العاتية تزخر الشطآن بالحطام
تطل من جديد باسماً ووديعاً
بغمرة الفجر المورد الخدين، وتألق الشمس البديعة
يبسط الهواء اللازوردي جناحيه رويداً، رويداً
ويشرق وجهك الجريء من جديد

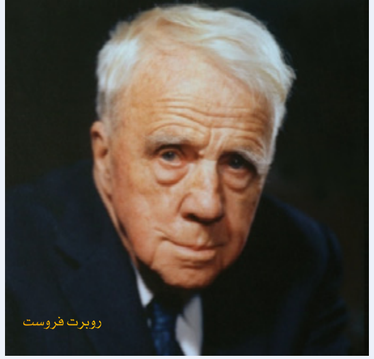
روبرت فروست

جورج هربرت

ويليام وردزورث

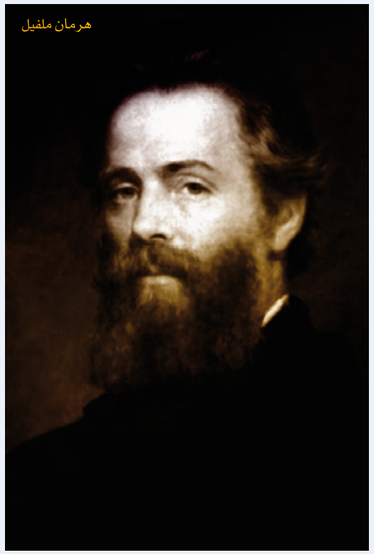
هرمان ملفيل

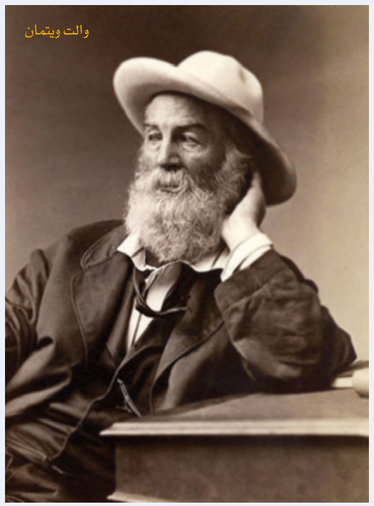
والت ويتمان

خلقت نداً للرياح، فلك كل الأجنحة
يا من تتحدى أنواء السماء والأرض والبحار والتيار،
وسفينة رياحك لم تنشر أشرعتها بعد مواجهة الإعصار،
أيام بل أسابيع وتمضي دونما كلل عبر الفضاءات وكل المدارات
عند الغسق تلقي بناظريك على السنغال، وفي الصباح على أمريكا
فتترنح بين وميض البروق وغيوم الرعود،
فيهم جميعاً وفي مغامراتك كلها تسكن روحي
فيا لها من أفراح أفراحك أنت.

تستند هذه الأبيات إلى ترجمة إنكليزية./1869/ لقصيدة انتصار الجناح، من مجموعة جول ميشيتك بعنوان (الطائر).

ويليام وردزورث (1770 - 1850)

في المقدمة

بأحاسيسَ قوية، مزدحمة كما كانت
في الماضي والحاضر، مثلُ هذا المكان
عليَّ أن أُسرَّ، في تلك الأيام، لم أطلب حينئذ
المعرفة، لكنني كنت أتوق إلى القوة، والقوة وُجدت
في الأشياء كلها؛ وما من شيء كان له
تأثير ضيق محدود؛ ولكن الأشياء كلها، بكونها
رحبةً بذاتها، وجدت أيضاً في نفسي
رحابةً وسعةً في العقل؛
فهذه هي قوةُ شبابنا ومجدُه.
فالطبيعة البشرية التي شعرت
أنني أنتمي إليها، والتي أحببتها واحترمتها،
لم تكن حاضرةً دائماً، لكنها روحٌ
تعيش في الزمان والمكان، وتنتشرُ بعيداً.
ففي هذا متعتي، وفي هذا كرامتي
تكمنان.

جورج هربرت (1593 - 1633)

البكَرَة

عندما خلقَ الإلهُ الإنسانَ أولَ مرّة،
أخذَ كأساً من النعمة كان على مقرُبة، قائلاً:
فلنَصبَّ عليه كلَّ ما نستطيع:
لندع ثروات العالم المتبددة،
تتقلص إلى شبر واحد.
كان أول من شقَّ طريقه القوّةُ،
تبِعَها الجمالُ، ثم الحكمةُ، ثم الشرفُ، ثم السرور:
ثم بقي كل شيء تقريباً في الخارج إلا الله،
الذي يدرك بأن كنوزه كلها
يبقى منها فقط ما هو في الأسفل.
وقال: لأنني إذا كنت قد
منحت هذه الجواهر لمخلوقي،
فإنه سيعبد هباتي بدلاً من أن يعبدني،
وإله الطبيعة لن يبقى في الطبيعة.
ولهذا كلاهما خاسرٌ.
لذا دعه يحتفظ بالبقية،
ولكن يحتفظ بها بقلق وتذمر:
دعه يصبح غنياً وضجراً، بحيث على الأقل،
إذا لم تَقُدْهُ الطيبةُ، فلعل القلق
يقذف به إلى صدري.

Anadlicom

إدغار ألان بو
صورة سوداء للعبقرية

رشيد الخديري - المغرب

شاعر وناقد

في سنة 1849، وُجد إدغار ألان بو جثة هامدة فوق مقعد في الشارع، وهو لم يصل بعد إلى عامه الأربعين، هذا المبدع العبقري الذي تكالبت عليه الأحزان من كل جانب، رسم طوال حياته القصيرة عالما مسيجا بالجنون والقتامة والغموض، وكأنه يعيش في قارة معزولة موحشة، مفزعه برؤاه السوداوية ومشاعره الملتبسة، هذا الإضطراب في حياته وشخصيته، انعكس بشكل واضح في نتاجه الأدبي، ولعل قصته" القط الأسود" وقصيدته الخالدة" أنابيل لي" دليل على تلك البوهيمية التي طبعت مجمل إبداعه، لاشك أن هذه الأعمال الأدبية ترسم تلك الصورة السوداء لمبدع عبقري، لم يمهله الموت سوى أربعين سنة كانت كافية لنقش اسمه من ذهب في خانة المبدعين الكونيين، فإدغار ألان بو عُرف بسوداويته ويجمع المؤرخين أن طباعه الحادة كانت سببا في عدم استقراره، حتى أن لا أحد استطاع تحمل مزاجه العصبي الحاد، ولا استطاعت العقوبات الجسدية القاسية التي كان معمولا بها في المدارس الدينية أن تحد من موجة تمرده وعصيانه، كما الشأن في مدرسة" إرفين" ذات الطبيعة المحافظة الصارمة في تربية الناشئة، وقد يكون للطقوس الدينية أثر واضح في شحن عالمه القصصي بالضبابية والسوداوية، ثم ترديه على أكثر من مدرسة وبيت ووظيفة، ولعل حكايته مع العمة ماري حين زجته في مدرسة بلندن نتيجة سوء تصرفاته وغرابة أطواره وصلابة طبائعة، دليل أيضا على بوهيميته وتمرده، وعند التحاقه بالخدمة العسكرية، استمر في كتابة الأشعار والقصص على نفس المنوال أي الإغراق في التشاؤم والنكوصية، كأن هذا الأسلوب هو الوحيد الذي يوافق ميولاته ورغائبه، وفي سنة 1832 نشر خمس قصائد، ثم بعدها عمل محررا للعديد من المجلات الأدبية، فكان ناقدا صارما، حادا كالسيف، نفاذا إلى عمق الأعمال الأدبية، يواجهها بالنقد والحجج والبراهين، وما إن تحسنت ظروفه المادية، تزوج من فتاة صغيرة تدعى " فيرجينيا"، لكن سرعان ما دب في جسدها النحيل داء السل، فماتت بعد خمس سنوات، ويُحكى أنه لم يجد مالا لدفنها، فتطوع جيرانه للقيام بمراسيم الجنازة، تأثر بو بشدة لهذا الحداث المفجع، فأدمن معاقرة الخمر، حتى مات نتيجة التسمم الكحولي وفق ما أعلنت عنه الصحف، حتى وإن ظلت أسباب موته غامضة، هذه الحياة المأساوية ساهمت في تكوين شخصية هشة، ونفسية مهزوزة، انعكست على عالمه القصصي والشعري، حيث نلمس هذا الجنوح نحو الصور السوداء وخلفيات البوح الجنائزي، مما جعل مسألة اقتحام مجاهيلها وفك طلاسمها الملغزة غاية في الصعوبة، فهو إدغار ألان بو مثال للشاعر النزق، السوداوي، الشريد

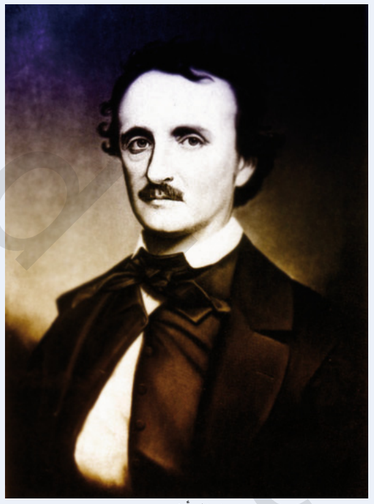

إدغار ألان بو

والمتشرد والمشرد، مدر المبادئ والأعراف والأخلاق، هاتك ستر القصيدة، ومهدم أسوار النثر الحصينة، السابح ضد التيار، المنفلت من قيود النواميس والقوانين، عازف القيثارة الحزين، الكئيب والمتألم، المجنون والعاقل في الآن نفسه.

بوابة أمريكا اللاتينية

بقلم: عماد أحمد العالم

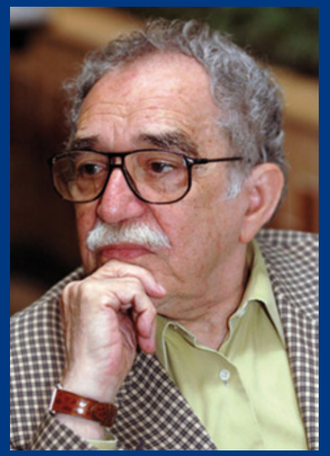

غابرييل غارسيا ماركيز

لا أجد متعةً تضاهي أن أكتب ما أشعر به حين أقرأ لغابرييل غارسيا ماركيز، الأديب العالمي وبوابة أمريكا اللاتينية، الروائي الذي أدخل الحب والجنس والسياسة والخرافة والواقع والسحر في مزيج غريب في العديد من رواياته، وربطه بالرغبة الجامحة التي لا تعرف الحدود ولا الأخلاقيات، وإنما سعى ليظهرها كغريزة متحررة من كل القيود، حتى إن كانت بين أفراد الأسرة ذاتها كما سرد في روايته "مائة عام من العزلة".

الحب في عُرف ماركيز له رونق خاص، ولذة أفلاطونية نرجسية سرمدية، لا تقدر أن تتخيل أن بين بني البشر من هم بهذه القدرة على التمسك به أو حتى مجرد الحلم!

في روايته "الحب في زمن الكوليرا"، تناول قصة حب امتدت لأكثر من خمسين سنه، ابتدأت بطرفين لكنها ما لبثت ان انتهت، لتكون من جانب عاشق بائس، أضمره في قلبه لخمسين عاماً حتى يحيى ما عاش من أجله. استوحى قصته من كفاح والده للزواج من أمه في ظل رفض أهلها له، الذي قابله إصرارها لتكون زوجةً له!

حين يصف غارسيا يجبرك على أن تعيش معه الأحداث بكل تركيز، يجعل من القارئ رهن كلماته، غير قادر على أن يترك ما بين يديه، ليستمر في تخيل الأحداث بطريقة تشعرك وكأنك طيفٌ يشاهدها عن قرب، فيما الشخصيات تمر أمامك كشريط سينمائي لا متناهي. تعتري القارئ حينها الرغبات المحرمة، أو الكره أو الحقد أو السعادة بناء على الحدث الذي يمر به، فيما تجعله تركيبة الشخصية المسرودة رهن جمالها وحتى إن كانت شريرة ومتجبرة.

استوحى ماركيز في بعض رواياته الشخصيات من سمات بعض من عاصرهم، كما يبدو التحرر الفكري اليساري جلياً في كتاباته، مع نفيه الدائم لمن وصفه بالشيوعي ووصفه لنفسه بالا منتمي لأي حزبٍ سياسي وإن كانت صداقته المعروفة بياسر عرفات والزعيم الكوبي فيديل كاسترو تشير عكس ذلك، لكنه كان يصفها دوماً بالأدبية البعيدة عن السياسة.

ما تقرأه له قد لا يعني فقط ما يخطر ببالك لحظتها، وإنما من الواجب أن تدقق في المعنى العام والفكرة التي يريد إيصالها لك!

استخدم في روايته الأولى المونولوجات النوكنرية الثلاثة، حيث تشاطر أبطال الرواية الثلاث وهم الأب والابنة والحفيد دور الراوي في روايته الأولى عاصفة الأوراق التي نشرت له في العام 1955. فيها ورد أول ذكرٍ "لماكوندو"، وهي البلدة التي ستشهد تلك الأحداث العظيمة والقصص المستوحاة من الواقعية السحرية في رائعته "مائة عام من العزلة".

بعض أحداث قصصه ترجع لتأثره بتاريخ عائلته العسكري والثوري وعيشه لبعضها وخصوصاً من جهة جده لأمه، إلا أن الطابع الغالب له هو تجرده من الموروث الديني وتبنيه الفكر التحرري، الذي طغى على فترة الاقتتال في جمهوريات أمريكا اللاتينية أو ما عُرفت بجمهوريات الموز.

لم يحمل ماركيز في رواياته واقع الحياة اليومية ولم يضفي عليها صفاتاً لم تكن فيها، بل كان موضوعياً في نقله للنمط السائد وقتها. استخدم في سبيل ذلك خليطاً من أحداث حقيقة وقعت وأخرى كتبها من نسج خياله، فخرج علينا بصورةٍ هي الأكثر شبهاً لتلك الحقبة الزمنية، وما تخللها من صراعات فكرية وعقائدية وثورية وارستقراطية واقطاعية، كما تطرق للفساد السياسي والمالي وجنون السيطرة والتحرر الوحشي اللاإنساني الذي اتسم به البعض كنهج لتحقيق مطالبه.

لم تغب الأقليات عن كتاباته، فقد نالوا هم ايضاً قسطاً أوضح ما كانوا عليه. تحدث عن الغجر بإسهاب ونبوآتهم وترحالهم الدائم والهنود والسود والمستوطنين الأوروبيين وحتى المهاجرين العرب كالحلاق السوري في رواية "في ساعة نحس".

شعورك بالبلل والضيق من ارتفاع الحرارة والرطوبة هي ما تشعر به وأنت منسجم في القراءة له، وهي نفس الأجواء التي ميزت قصصه وهي في الواقع طقس بعض مدن أمريكا اللاتينية التي جرت فيها أحداث رواياته.

استرساله في السرد ودقة وصفه وجمال تعبيره يشعر القارئ بأنه جزءٌ مما يقرأ، فيحدث اندماجاً روحياً وعقلياً يجعل الجسد متأثراً بما يدور ويخرجه عن الواقع المختلف الذي يكون فيه.

بالضبط، هذا ما سيحصل وأنت تقرأ عن واقع حياة لناس عاشوا حياةً بعيدةً عن الرفاهية وتأقلمت أجسادهم على الأجواء الاستوائية الحارة الرطبة الممطرة، لكنهم استمتعوا بهو لتترك أثرها على عاداتهم وطبائعهم وسلوكهم وتعاملهم الإنساني ونمط حياتهم اليومي. مزيجه الدائم الذكر كان يتجلى في تطرقه للكاريبي والبحر والعزلة.

شعوب أمريكا اللاتينية إن لم تعاشرها أو تزرها سائحاً أو مقيماً فيكفيك بظني أن تبحر في بحر روايات ماركيز، لتكتشف أهمية العائلة في تكوينها وقدسيتها لدى الطبقات الفقيرة والمهمشة والمتوسطة، وتأثرهم بالكنيسة الكاثوليكية وما دخل عليها من معتقدات هي أقرب ما تكون للوثنية، وهو ما تمرد عليه اتباع الطائفة الارثوذوكسية والبروتستنتية.

التدين لدى البعض فيما كتب قابله تحرر فكري لا ديني وجد صداً واسعاً لدى القارة اللاتينية، فازدهر التيار اليساري والشيوعي وتكاثرت الثورات التحررية، لتعاني على أثرها دولها ويلات الحروب الأهلية ووحشية الاقتتال الداخلي التي استمرت لعقود ونال ذكرها جزءً لا بأس فيه من أدب ماركيز الذي خلط السياسة بالدراما، فأنتج مزيجاً متكاملاً وصورةً مسهبة لمسار الحياة وتداخل الأوضاع الاقتصادية والمعيشية والتغيرات الاجتماعية والفوضى والقلاقل السياسية التي استمرت لسنين طويلة، تاركةً أثراً بالغاً في تطور دول أمريكا اللاتينية، التي كان للتغيير فيها ظروف أكثر صعوبة من أي مكانٍ آخر.

هجر ماركيز دراسة القانون واتجه للصحافة لكنه تركها فيما بعد ليكون قاصاً أسس مدرسةً فكرية لم تُعرف من قبل، وتُرجع له فقط وهي الواقعية السحرية، التي تتلمذ بها العديد من الكتاب بعده، لكنهم لم يصلو بها ما وصل له من عبقرية الوصف والكلمة وجنون الابداع الذي لم يُعرف له نهاية في كل ما أبدع قلمه وأدبه بكتابته.

عن الأدب اليهودي

إبراهيم عبد الله الخويطر

كاتب ومفكر

(1)

الأدب اليهودي ؛ لم يكن لليهود أدباً إلا في العصور المتأخرة غير ما جاء في التوراة وأسوارها فحينما رحل المسيحيون (البروتستانت) إلى أمريكا مطرودين من أوربا الكاثوليكية لم يكن في أمريكا إلا ما يقارب الثلاثة آلاف يهودي لكن المسيحيين البروتستانت وجدوا في اليهود ضالتهم فاستوطن الإنجليز البروتستانت البيوريتانيين أي (المتشددين) نيو أنجلاند (انجلترا الجديدة) وذلك في القرن السابع عشر الميلادي وقدر أي هؤلاء المهاجرون في اليهود أنهم مبعوثو العناية الإلهية باعتبار أن بني إسرائيل اليوم هم يهود الأمس (شعب الله المختار) يسيرون سيرة سلفهم قبل أن يغضب عليهم بعد ما أرسل (ابنه المسيح) حسب اعتقادهم فسفكوا دمه) ولهذا اعتنوا باللغة العبرية عناية تامة وجعلوها أساسية في المدارس والكليات لأنها لغة التوراة التي بشرت بمجيء المسيح؛ وعندما تخلص الأمريكان من الاستعمار البريطاني ودار النقاش بين الولايات التي تتشئ بينها اتحاد فرجعت إلى نموذج (بنو إسرائيل) وما فعله موسى مع القبائل اليهودية المتفرقة في مصر حيث جمعهم ووحد كلمتهم أمام المصريين، فأنشأ بنو إسرائيل مجلس شيوخ مكوناً من (سبعين عضواً لمساعدة موسى) عليه السلام، فكان كلما نشأ خلاف بينهم التمسوا النصح والمشورة عند هؤلاء؛ هذا النموذج لبني إسرائيل جعل منه الأمريكان قدوة لهم.

وفي يوم 11 يونيو 1788م اعتمد الاتحاد الأمريكي الدستور بإعلان فصل الدين عن الدولة (إعلان الديمقراطية وعند إعداد شعار أو ختم الولايات الفتية تشكلت لجنة من دعاة الاستقلال من فرانكلين، آدامز، جفرسون فاقترح (فرانكلين) أن يتكون الشعار من صورة موسى وهو يرفع عصاه السحرية ليشق بها البحر فيغرق بها فرعون الذي أذل شعب بني إسرائيل.

(2)

لم يكن لليهود أدب يذكر إلا في العصر الحديث (مع نهاية القرن الثامن عشر) أما قبل فلم يكن هناك شعب حتى يكون له أدب، وهذا لا يعني نفي أن يكون من بين اليهود أدباء أو شعراء أو فلاسفة فهم كغيرهم من البشر لكن ما نعنيه أدب باسم اليهود، لأن الأدب يتطلب أن ينتمي إلى جنس بعينه وإلى وطن بعينه وبيئة بعينها، وهذا لم يكن متوفراً لليهود بعد السبي البابلي فكانوا في الجاهلية وسط الجزيرة العربية ينتمون إلى قبائلهم فالشاعر في الجزيرة يتحدث العربية لا فرق بين وثني ومسيحي ويهودي وبعد الإسلام أصبحوا ينتمون إلى عصرهم كالإسلامي والعباسي والأندلسي كغيرهم من الأدباء فالعبرية التي تعد لغة اليهود الأساسية اختفت منذ قرون من القرن الخامس قبل الميلاد زمن النبي (عزرا، 450 ق.م) فقد حلت محلها الآرامية واليونانية بالدرجة الثانية فالإنجيل كتب بالآرامية واليونانية، حتى النبي (عزرا) كان يشرح التوراة والكتب المقدسة بالآرامية وكذلك فعل علماؤهم وبعدهما جاءت (اللاتينية) بعد أن دخل الرومان في المسيحية فأصبحت هي اللغة السائدة في أنحاء الإمبراطورية وكان اضطهاد اليهود على أشده في العصور الوسطى في جميع أنحاء أوربا حتى اضطر بعض اليهود إلى اتخاذ المسيحية تقية وكان يطلق الأوربيون على هؤلاء(المرانين) أي الخنازير؛ أما الأدب اليهودي فيبدأ مع نهاية القرن الثامن عشر. حيث بدأ بعض الكتاب اليهود يقتبسون من المسرح الفرنسي ويؤلفون مسرحيات وكذلك يترجمون أشعار لشعراء فرنسيين وقد هدف الأدباء العبريون إلى نقل تراث الآريين إلى الساميين وكان شعارهم (جمال يا فث في خيام سام) وقد نشطوا في الترجمة في ألمانيا والنمسا فترجموا لكثير من مشاهير الأوربيين الشعراء والأدباء، أمثال شللر وغيره.

أما الأدب اليهودي في الروس، ويسمى (أدب الييديش)، والييديش لغة خليط من العبرية والألمانية والسلافية الروسية يتحدث فيها اليهود الروس، وازدهرت في أواخر القرن السادس عشر وأصبحت وسيلة التعبير للأدباء اليهود في الروس وفي أول الأمر كان ضعيفاً لكن في عام (1862) أصدر أحد الأدباء اليهود في روسيا القيصرية (أول مجلة دورية في اللغة أليديشية، وبعدها نجحت هذه اللغة في روسيا؛ وتعد الفترة ما بين (1889 - 1914) العصر الكلاسيكي لأدب الييديش. حيث انتشر في روسيا وبولندا وسائر أوربا الشرقية، وقد عقد أدباء الييديش عام (1908) مؤتمراً أعلنوا فيه أن لغة الييديش لغة يهودية قومية، ويعد هؤلاء الكتاب هم أصحاب الدور البارز في إذكاء الشعور القومي اليهودي بضرورة الحصول على حقوقهم كاملة في دول الشتات وفي مقدمتها الولايات المتحدة وهذا الأدب تزامن مع الهجرة اليهودية الكبرى إلى أمريكا في الثمانين من القرن التاسع عشر وأدب هؤلاء يركز على رفع الروح المعنوية لليهود المطحونين فأقاموا (مدينة فاضلة يشيعون الأفكار الاشتراكية الفوضوية).

من أدباء هذه الفترة (اجناتوف 1885 - 1954) من كييف في روسيا، هاجر وهو في العشرين من عمره وبسبب نشاطه الثوري الاشتراكي تعرض للسجن ولإملاق وكان أدبه متأرجحاً بين الرومانسية المبالغ فيها التي أضافاها على التقاليد اليهودية مثل (قصص العجب المدهشة في براغ القديمة) و(النور الخبيء) وفي هذه القصص روح التقوى والورع والطهارة والبعد عن الشر؛ وله ثلاثية بعنوان (آفاق) تصف الحركة العمالية اليهودية في أمريكا بداية الأدب والثقافة اليهودية المتطرفة مع ظهور (الحركة الصهيونية) في أواخر القرن التاسع عشر كانت سياسية ثم أصبحت عامة في الأدب والفلسفة والاجتماع وانصب حقدهم الدفين على مر العصور وما عاناه من ذل واضطهاد على العرب.

مثال للأدباء الأوائل الصهاينة في إسرائيل (موشى مسيلا نسكي 1874 - 1953) اخترت هذا الشخص لعدة أسباب أولها: انه صديق "هرتسل" مؤسس الصهيونية العالمية ثم تقاسم معه الأدوار فكان دور هرتسل، سياسي وتولى (مسيلا نسكي) الجانب المشاعري والروحانية وحث المتدينين إلى السفر إلى أرض الميعاد.

ثانياً: هو من أوائل قادة الاستيطان اليهودي في فلسطين (الكشوف) وهو الذي يكشف في مقالاته ويومياته عن مشاكل المستوطنين في بداية القرن العشرين. فالعبرية لا أحد ينطق بها حتى من القلة الموجودة في فلسطين فكان النزاع بين (الأسفاريم) اليهود الشرقيين ولغتهم (الييديش) الخليط من العبرية والسلافية والألمانية و(الأشم نازيين) يهود أوربا ومحاولة التوسط بينهما لكن الكبار من السفارديم تركوا المستوطنة وأسسوا مدرسة خاصة بهم، ولعل أ هم ما كتبه (سميلانسكي) السيرة الذاتية التي توضح أنصدام اليهود القادمين من أوربا الشرقية أو الغربية بالدعاية التي صورت

موشى مسيلا نسكي

فرانز كافكا

فلسطين أنها جنة الله في أرضه، فماذا وجد عندما نزل في ميناء (يافا) قادماً من أوكرانيا عام 1891م شعر بالصدمة من المناظر القذرة والكئيبة وعلامات البؤس والفقر فالكتاب يؤرخ لفترة مهمة من الاستيطان اليهودي قبل إنشاء دولة إسرائيل وهو يجمع بين النثر والشعر ولكن تبقى قيمته في وصفه لتلك الفترة.

أما الأديب الثاني الذي إخترته فهو (فرانز كافكا عاش بين عامي 1883 - 1924) عاش معظم حياته في، براغ مقر غالبية اليهود كان رقيق الجسم والحال والشعور فقد كان مصاباً بالسل، هذا الأديب الشاعر الكاتب نال شهرة عالمية في القرن العشرين لم يحظ بها أحد قبله ولا بعده ويعد أشهر شاعر كتب بالألمانية مع أنه عاش في براغ شبه مغمور أول حياته ولعل هذه القطعة التي كتبها عندما زار حديقة الأسماك في، برلين، فخاطبها قائلاً:

لك أن تأنيب إلي فلن آكلك لقد حرمتك على نفسي كما حرمت سائر الذبائح، لقد قاسيت طويلاً من غلظة قلب الإنسان ووحشيته، إنني حلم في هذا الوجود أكره الموت ولا أستطيع رؤية الدم لذلك حرمت على نفسي اللحوم واكتفيت بالنباتات، وكما أن نفوري من القتل والذبح صيرني نباتياً، كذلك قسوة الإنسان لأخيه الإنسان بغضت إلي الاطمئنان إلى بني آدم، وهنا يشكو من قسوة أبيه وغلظته يقول: «لقد قاسيت كثيراً من قسوة والدي وجفوته وكم ضايقني بصياحه وبذاءته ولن أنسى ألفاظ السباب التي وجهها إلى أحد عمال متجره وكان فقيراً مريضا بذات الرئة فنهره والدي قائلاً: إذهب إلى غير رجعة أيها الكلب العليل ... فهذه الخصال أوغرت صدري على والدي وجعلتني أخافه، وإني لأذكر أن العمال مرة قرروا ترك العمل فتدخلت والدتي وردتهم العفو عما بدر منه»

ومن هنا نفهم سر شكاته منذ طفولته قسوة وجوده في الوجود ويرجو الخلاص من الوحدة، من الخوف والغربة التي كان يشعر بها جميعاً في البيت والمدرسة حتى في عقيدته اليهودية التي أخذها عن والديه وكثيراً ما تعجب من والده لجهله وإفلاسه في معرفته جوهر الديانة اليهودية وادعائه عكس ذلك ويلومه على رفضه الإيمان باليهودية التي يمثلها أبوه لأن أباه يذهب أربع مرات للمعبد في السنة ويؤدي الصلاوات عرضاً لا جوهراً؛ ويتألم (كأفكارنا) لمصير عالمنا الذي بدأ إنسانياً ثم تطور إلى القومية وأخيراً إلى الوحشية. ومن ثم نراه يجعل من الحيوان آدمياً ومن الآدمي حيواناً كما في كتبه وأبرزها (المسخ، والحكم) وغيرهما وأخيراً من له اهتمام بالأدب العالمي لا بد أن يقرأ كفاك كما يقرأ دوستوفسكي وتولدت وي وبلزاك وغيرهم.

المراجع:

(1) الأدب اليهودي المعاصر.

(2) اليهود في الأدب الأمريكي، د رمسيس عوض.

(3) الآثار الكاملة، فرانز كأفكا.

عَودٌ على نيويورك: كتاب هنري ميللر سأضع بقية عمري أمامي!

عرض وترجمة:
محمد عيد إبراهيم
مصر

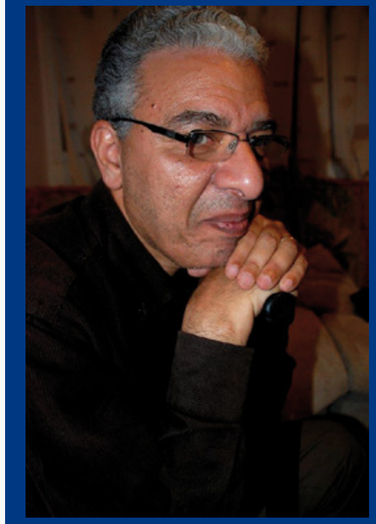

يعدّ الروائيّ الأمريكيّ هنري ميللر (1891 – 1980) من أوسع المؤلّفين قراءة في العالم، كما يُحسَب له تأثيره الكبير على جماعات شعراء الحداثة في أمريكا، خاصة جماعة "جيل البيت"، علاوة على توسيعه أرضاً جديدة إزاء رقابة الأدب. ومع أن ميللر روائيّ حداثيّ وفنان تشكيليّ وناقد ألمعيّ ومفكّر إبداعيّ، إلا أنه بلغ أوج شهرته بروايتيه اللتين تحكيان سيرته الفاضحة "مدار الجدي" و"مدار السرطان"، وقد منعتا في أمريكا طيلة ثلاثين عاماً، حتى أُفرج عنهما عملاً بحرية التعبير أوائل الستينيات، بعد مرافعة بليغة سطّرها المؤلف نفسه، جاء فيها "أنظر إلى الدنيا كأنها بيتي. سكناي بالأرض، ولائي مدين لجنس البشر، استجابتي لله لا لمؤسسة رئاسية مهما كانت. أستخرج قدري، وأرفض تعريضه للخطر بدعوى أن الحياة تتخلّل القوانين الوضعية الضيقة لتطوّقها. أومن بالعقل والدين والمجتمع. أقول: السلام عليكم جميعاً، فإن لم تجدوا هذا السلام، فلأنكم لم تبحثوا عنه. وعند حذفكم كتبي، هل تستسيغون طعامكم؟ تنامون أعمق، تصبحون أزواجاً أفضل؟ هذا ما يهم: ما يحدث لكم، لا ما تلحقونه بي".

وقد سافرهنري ميللر عام 1935 من باريس، بلده بالتبنّي، إلى أمريكا، بلده الأم. فكتب عندئذ رسالة طويلة (صارت فيما بعد كتاباً: "عَودٌ على نيويورك") إلى صديقه ألفرد بيرل، بها شرحٌ مسلٍّ لرحلته الشيقة، ملأها بانطباعات حية وتأمّلات فادحة ضمن صورة قلمية عن الكاتب وموطنه. ويوضّح هذا الكتاب قدرات ميللر الإبداعية في أقصاها، ككاتب مثير استفزازيّ ومفكّر حرّ. كما أضيف للكتاب بطبعاته الأخيرة رحلة الكاتب الفاشلة إلى إنجلترا، وهي فصل بعنوان "عبر دييب، في نيوهيفن".

ونعرض هنا لمفاصل من كتاب هنري ميللر "عَودٌ على نيويورك"، لكن جزئياً نظراً لما فيه من جرأة:

آخر الأمهات الساخنات

رحتُ الليلة الماضية إلى مطعم هوليوود، وهو مكان تسلية ضخم كلّفني دولاراً ونصفاً. المكان صالة رقص كبيرة، آلاف يأكلون في الوقت نفسه، يسرفون في الشراب، يخبط بعضهم بعضاً. معظمهم رصين، لكن عيونهم تتقافز من محاجرها. جلّهم متوسّط العمر، أصلع، متحيّر. قدموا لسماع "الأغاني التقليدية" التي تؤدّيها ساحرات ناضجات. "صوفي توكر"، امرأة جميلة تزوّجت مصادفة. بدينة، بعروق زرقاء. تؤدّي إعلاناً مفاده "آخر الأمهات الساخنات". فلم تعد تربّي أمريكا مثل هذه النوعية. فالجديدات منهن فارعات، كاملات، بخصور طويلة، بصدور ممتلئة، ورؤوس مزعجة. يغنين في الميكروفون، مع أن المرء يستطيع سماعهن بدونه. في الصالة هدير مزمزم يمرضك ويحيلك ذاهلاً. يعرفن جميعاً كيف يصرخن. يحببن ذلك. لديهن أصوات مسكرة: خشنة، لاذعة، نحاسية. أوجه طفولية، بلمحات آلية، وهدهدات تفطر القلب. استعراض ضخم، يكلّف ثروة، لكنه يتركك هامداً. تظنّ أني أحنّ إلى وطني، إلهي ساعدني!

حلم عذريّ

سأحكي لك قليلاً عن ليالي وحدتي في نيويورك، كيف كنتُ أذرع شارع برودواي جيئة وذهاباً، ألتفت يمنة ويسرة إلى الشوارع الجانبية، أتطلّع إلى النوافذ والأبواب، أتساءل دائماً متى تحدث المعجزة، إن حدثت. ثم لا يحدث شيء. من ليلتين رحتُ إلى مطعم بسيط في شارع 45، فصادفتُ بعضاً من الفتيات المتينات الجميلات، ملابسهنّ مهندمة، شاحبات البشرة، بحواجب ظليلة. وجوههن كنوّهات غارقة. عيونهن مجنونة وثاقبة، عيون تثقبك وهي تمتدحك كنوع من لحوم الفرس. جلست جنبي واحدة منهنّ. جميلة، فاتنة، طرية، عذرية، فاضحة بكلّ مجال حتى أني خجلتُ من التطلّع إليها مباشرة في العين. نظرتُ فقط إلى قفّازيها، وكانا مخرّمين، من حرير ناعم. شعرها طويل، بضفائر منسابة قد تصل معلّقة إلى خصرها. جلسَت بكرسيّ عال وطلبَت ساندويتش وقهوة تناولتها برقّة متناهية. يبدو أن الرجال المسترقّين النظر إليها يعرفونها، يحيّونها في ألفة، لكن بتوقير. يمكن أن نسميها "ملكة جمال أمريكا، 1935". كانت نوعاً من الحلم، أؤكّد لك. رحتُ أنظر إليها على نحو ماكر عبر المرآة. لا أتصوّر أن يُرقدها أحد إلا بصولجان ذهبيّ. لا أتصوّرها تستجيب لأحد أيضاً. لا أتصوّرها تلتهم لحماً بالعصير والفطر والبصل. لا أتصوّرها تذهب إلى الحمّام، إلا لتُصفّي حلقَها. لا أتصوّر لها حياة خاصة. ما قد أتصوّره أن تقف بوضعيات لأغلفة المجلاّت، حيث تقف بجلدها الشاحب دون نقطة عرق.

إلى فرنسا، لأكتمل

أخبرتكَ أني أنوي كتابة فصل أخير من الكتاب سأُسمّيه "أنا الإنسان". كتبتُ ستّ صفحات، ثم كان عليّ أن أخرج. أحسستُ أني لم أعد إنساناً. حيوان بقدمين، حيوان يأكل وينام. ثم أندسّ في الشارع. تقول لي روز: "سأخبرك عما يجب أن تفعله، امض إلى بيتك، وخذ حمّاماً"، لكن مَن يمضي: أإنسانٌ أم ذلك الحيوان؟ غداً سأتقدّم لنيل جواز سفري، حيث يقولون: لماذا تنوي زيارة فرنسا؟ وسأردّ كما بالمرّة السابقة: "لمجرّد المتعة!"، أو ربما أقول: "لأني أريد أن أكتمل كإنسان". كيف؟ آمل أن أبدأ كتابي الجديد على قارب. سأبدأ حياتي من هناك. للمرّة الأولى في حياتي أقرّر أن أنتهز الفرصة، وقد انتهزتها. سأكتبُ ببساطة وأمانة، حتى يقدّر أحفادي، لو صار لي أحفاد، ما كتبتُ. حكاية طويلة، أكتب لأصفها بكلّ ما فيها من تفاصيل. سأضع بقية عمري أمامي.

تشتري قصيدة؟

أبعد قليلاً رأيتُ "ركن الشعراء"، وهي قرية حقيرة يلتقي فيها الشعراء الشيوعيون، يجلسون وهم يمضغون الدهن فوق فنجان قهوة باهت مشحّم. ها هنا تُكتَب أعظم قصائد أمريكا. وهي تُباع على طول الشارع بعشرة سنتات للمقطوعة الواحدة. يمكنك قراءتها قبل أن تشتريها حيث تعلّق كلّها على السور، في ركن من ميدان واشنطن وشارع ثومبسن. ومعظمها مكتوب بالقلم الرصاص وموقّع باسم مؤلّفها الذي يحكّك نفسه حين يراك وأنت تقرأها. فيقول بصوت مبتهج: "اشترِ قصيدة، أرجوكَ. القصيدة بعشر سنتات فقط!". وإن أمطرت فالسوق يُغلق، طبعاً. عليك ساعتها أن تنزل إلى "ركن الشعراء"، عدّة سلالم إلى قبو، في الشارع الثالث، حيث يحتشد "الشابّ والشرير". أما الفنانون فيبيعون أفضل قليلاً، بخمسة وثلاثين، بخمسين، أو سبعين سنتاً، للّوحة الزيتية. لا يخشون من المطر، فأنت تعرف أن الزيت والماء لا يمتزجان.

العبقريّ لا يجوع

الوقت يضغط عليّ، ولن أبحر قبل الجمعة. لي مضجع علويّ ويشاركني منامي ثلاثة آخرون. لو كانوا أمريكيين فلا بأس، أما لو كانوا ألماناً فهو أمر سيء. لكن إفطار الألمان جيد. وقد أخبروني أن أنتظر كلّ صباح رنّة الجرس. في نيويورك الآن اثنا عشر رجلاً وامرأة واحدة يعرفون أني عبقريّ. العبقريّ يأكل ويشرب. آمل أن يتذكّر الرجال الاثنا عشر والمرأة الواحدة أن مثلي يأكل ويشرب. غداً سأتأخّر. غداً سآكل. لكني الآن جوعان، بحقّ المسيح، إن كان أيّ قدّيس يجوع، فسأكفّ عن أن أكون قدّيساً. مات رجل من يومين، من الجوع. يبدو أنه كان بمعدتين، وكانت مهمة صعبة أن يشبعهما يومياً. أمر خارج عن نطاقه. وكانت امرأة أخرى بمعدة مقلوبة، وحينما عدلوها راحت إلى مطعم تختبرها. أما أنا فلديّ معدة صغيرة، بل وتصفُر يوماً بعد آخر. آمل أن تكفيني عبقريتي لأواظب على إشباعها بانتظام، ليس أكثر. آمل أن أجلس إلى صحن من البحريات، حيث يتألّف عشاء أمريكيّ بعيد عن الشطّ من قواقع ومحار وجمبري وسمك صَدَفيّ وسرطان بحريّ ولحم ضأن محمّر وثوم وخبز هشّ وسجق أكباد ولحم مقدّد وبصل وسلَطة رومانيّ وزيتون أسود وعيدان قمح ورؤوس هليون وشُقق بطّيخ وكرنب مخلّل وأكباد دجاج مبشورة وبيض حَمَام وخبز مُحلّى وسجق لحم وبياض بيض وكمية كبيرة من الخردل. لا يجب أن يُسمح للعبقريّ أن يجوع على الإطلاق. يجب أن يكون نصف جوعان، أو ثلاثة أرباع جوعان. فهو يحتاج القليل من القوت لسدّ جوعه على الإفطار، لكنه يحتاج ذلك على نحو مُلِحّ.

كتاب على قارب

نحن الآن في البحر، والدنيا تثلج. البرد قارص. الطرف الخلفيّ للمركب للمراوح، والمسافرين المعدَمين. لكن هذا يجعل الرحلة ممتعة أكثر مما تتخيّل. عند الظهيرة، يقول رجل: "والآن، يا قوم، أريدكم جميعاً أن تنصتوا إلى هذا. فهو أمر جلل. إن لم توقّعوا للعبة البنج بونج فوقّعوا الليلة". يقول إنه سيعلن لنا بين الفينة والفينة عمّا يحدث، أو عمّا سيحدث، أو عمّا لم يحدث بعد. من دونه لن يدور المركب على النحو السديد. قد نضجر. قد ننتحر. عندما نصل الميناء، فلن يترجّل أحد من المركب. قرأتُ على المركب رواية قصيرة تشير إلى فان جوخ. "إن فان جوخ كان يدرك النور، يحارب كالأعمى ليرسم النور ويعيش النور. لكنه مات، طبيعياً. ليس للمرء أن يأكل الرمل. ولن يهبه العالم نفسه ليأكله". لقد استعملتُ اللغة نفسها وأنا أكتب عن د. هـ. لورنس. مسألة أن تأكل وأن تؤكَل. لا أظنّ هذا مفهوماً اليوم. لكن المشكلة أنك تكتب في نثركَ قصائد كاملة. قصائد تبدو شذرات. إن عينك تركّز بهدوء، لا على المعرفة، بل على التصيّد، كلّ خطوة بُعد جديد، عالم جديد دائماً خلفها، خطر دائماً بنجاح كامل. يبدو أنك تدرك طبيعة العمود الفقريّ، انسجام البنيان بالعالم المتناقض. لا أعرف أين تكلّمتَ عن هذا بالضبط، لكنه موجود عندكَ. فأنت تقول أشياء ذات معنىً، لكن بطريقة خطأ. مع ذلك أفهمها، لأنك تبدأ كلّ مرّة من خدش بسيط حتى تصل إلى مدفن العلامة. وتنتهي سطورك إلى منعرج ميت على العظم، كرصاصة ترتطم بالمخّ حتى تستقرّ بمؤخّر الرأس. يبدو أنك تلهث خلف معاني التقليد، عبر دراسة شذرات مجمّعة. تقوم بتحرير الخمائر، لتترك حقلاً صافياً من التحلّل. عزيزي، وبين هذين الكتابين قرأت كتاباً آخر: كتابي. ومفاد الكتب الثلاثة: أن أمريكا كومة رَوَث.

مُرسَل من أمريكا

لا أستطيع التفكير من جديد في أمريكا. أذكر الآن ليلة قضّيتها في نيويورك، كنا فيها خارج العقل من الشراب، حينما انفجر أحدنا فجأةً صارخاً بعبارة جسيمة "كلّ الفنّ العظيم هنا". لا يعرف أحد في أمريكا المعنى الذي قد تحدس به هذه العبارة. فإن أمريكا تبدو جديدة حيث لا توجد أوجه للمقارنة. في الحقيقة لا يوجد شيء اسمه أمريكا. هناك ملايين من الأشياء التي تنفصل عن بعضها البعض، عدا جزء واحد من آلة يرتبط بجزء آخر. بالنسبة للأجزاء نفسها، يبدو أنه لا شيء جديد، كساعة قديمة توقّفت عن الحركة تنظر في دهشة إلى أخرى جديدة، كلّ جزء فيها متحرّك. المشكلة؟ آه، العاطفة. قد تبدو غير منطقية. حين تمشي بالشارع ترى كلّ ما يقوله المفكّرون هراءً. الفنّ مات، فلم يعد هنالك جمهور. لكن الشارع يجعلك تعيش. هنالك تسرّب من جانبك، عليك بإيقافه. وإلا فمن الأفضل أن تطلق النار على نفسكَ. هذه آخر كلمة مني إليكَ. وإلى أمريكا. آه، سأتوقّف الآن، وأترك لك المجال لتمتدح مني هذا الهراء الذي كتبته. بلّغ الآخرين كم أني عبقريّ. مُرسَل من أمريكا!

هنري ميللر